



ناء: مَيْل يا (سَيْل) غزْبِل

أحتفظ بعادة هي الاسوأ بين عاداتي التي لا حصر لها، لكنني سأكون ممتنا للوحة المفاتيح إذا تعافيت ربما هذا بالضبط ما أود فعله في هذه التجربة التي تأتي على نهايتها لكنها على أي حال تجربة. أقوم بتدوين كل اسم يروقني لساعة وصوله درجة الخصوبة وعندما تتزاوج فكرة الاسم في الطنجرة التي تدعى رأسي أقوم بتدوينه في إحدى الاعمال التي أقوم بتجسيدها على خشبة المسرح. لا تفهموني خطأ فالمسرح ليس الحياة. الحياة الحقيقية هي خارج رفح الستار وانطفاء الإضاءة بكثير، مرض رؤية العالم من خلال عدسة السينما تعافيت منها بعد معاناة شديدة، كل الوقت تساءلت إن كان ما شاهدته تفي غرضه عدسة واسعة أم قريبة تمكنك تحديد الفوكوس على أدق التفاصيل ليس آخرها الحبيبات المزعجة في الشق اليسار للأنف، أو الشعيرات الباهتة التي تسلفت بلا مقاومة تذكر غلاف الأذن.

أين تذهب؟ إلى المرفأ، لماذا تحديدا هذه الساعة؟ أريد انتشار حبلي من هناك. حبلك السري، لا بل حبل خرائي. الصيادون منزعون من حبلي الطويل الذي يزعجهم أكثر من تحرشات التجار الكبار كل نهاية أسبوع بمدى المساحة المتاحة للإبحار على متن الحسكات على قلتها التي تسد بالكاد رمق عائلة واحدة بقططها وكلابها الذين ينتظرون بفارغ الصبر العودة كل صباح. حبلك هذا لا نهاية له؟ ربما يوما ما عندما أصبح متمرسا وأتمكن من عبور عوالم البيك وموركامي، حينها لن تبقى أي قطة قحباء بلا سمكة للعشاء. كيف تتحدث بهذه السليقة الخرائية عن القطط؟ ألا تخشى عقوبة ما تتفوه به، يا لك من سفيه. أكرهك وأكره من منحك حق الكتابة أصلا عن قططنا الطاهرات العفيفات اللائي يترائين على المرفأ كما لو كن دورية الفيلق الخامس. تذكرهم؟ لا أريد سماع أي شيء يذكرني بهم لا من قريب ولا من بعيد.

أقدم اعتذاري الخالص لكل قطط العالم وأعلن سحب كل تصريح يمت بتفوهاتي التي إن نمت عن شيء فإنها تمت للتربية المخزية التي تلقيتها وأني من اليوم فصاعدا سأقوم بإطعام كل قطة على اختلاف انتمائها العقائدي أو الإثني أو اثنيهما معا. وأعدك فيما لو أمطرت السماء سمكا مشويا كان أم مقليا أن لا أقوم بأخذ أي منهما إلى بيتي، ستكون كل سمكات السماء هبة للقطط، لكنها هبة الله في العلي إلى القطط لماذا تقلب الحقيقة كما يحلو لك، نحن لسنا في هذه الحماقة التي صورتنا إياه في رأسك، بأي عدسة كنت تريد تصوير هذا المشهد؟ أنا معافى الآن تماما مما



ابتلي به كثير من أهل الفن السايح، إذن فانت محسوب على جماعة القطط، فليكن البقر إن شئت. سئمت نفسي وسئمت تعاساتي التي لا تعرف قاعا تهتدي إليه، في كل مرة أكتشف مدى خيبي المدوية، ما يحزنني أكثر من كل هذا أن الخواء الذي يملئني لا صوت له كما في السابق، خواء كاتم للصوت لا معنى فيه للألم مهما كان، بهذا الخواء أستقبل طفلي هل أسميه بسة؟ هرة؟

الأسماء التي جمعتها حتى الآن هي فقط أسماء جنس مؤنث، الجميلات هن الزاكيات بطعم السمك، نيئا صباحا، مقلبا ظهرا ومشويا في المساء. على فكرة، هذه فحولة كاذبة تماما كالفجر الكاذب التي تتم عن العجز الجنسي وبالمناسبة لا تروقني أبدا، لو كان بيننا حنا مينة لبصق في وجهك تماما كما أفعل الآن.

رفقه، بركه، صبريه، زانه، سالمه، صفيه، شيخه، خضره، صبحيه، عصره، جميعه، سلطانه، آمنه، أمونه، زيتونه، مزنه، وضحه، مصيونه، غفره، صافيه، رايقه، حمده، رقيه، زعل، زعيه، بيسه، فاره، شارده، رفعه، لوليه، صينيه، نوفه، هدبه، خيرقه، كلييه، كايده، حاكمه، غزاييل، وطفه، نورا، تفاحه، موزه، وريده، خيشه، حربه، شهيله، صالحه، نصره، كوكب، نافله، وطفه، زهيه، زهانه، شناره، كفايه، مسعوده، شتيه، ائله، شمسه، قطيشه، فلحه، شتيه، فضه، وصايف، حمدانه، شيشانه، سهيلة. ليا ما بك؟

لست من هواة أكل السمك؟ فواكه البحر أيضا لا تفضلينها، ولا حتى الصدف؟ لكنه الطبق القومي بمزاج وطني؟ صحيح رائحتها على الغاز تشبه رائحة جوارب جندي قادم من الجبهة لم يغير جواربه منذ شهر. أي جبهة؟ لا تقولي لي من إفريقيا الوسطى فلن ترحمكم كل قبعاتكم الزرق مهما كانت نظيفة، أسألي أي شنارة جميمة أو زهية كيف تقيمين نظافة البيت ستجيبك دون تلكؤ من المراحيض وليس الصالون.

يا طفلي القادم إلى عالم تملؤه خيبات والدك الذي لم تمنح خيار نسبك اليه ماذا عساي أن أقوله لك على أعتاب استقبالك؟ علينا الجلوس والحديث كرجلين. ليس رجلين، كآدميين اثنين يههما أمر الواحد منه الآخر. ارفع رأسك عاليا أنت اللاجئ في وطنك، هناك لاجئون كثر يحيون في أوطان ليست لهم، وطنك عند أول حب تقابله على قارعة الطريق. ارفع رأسك، ولا تظن أنني مربى في مدرسة مهما كانت نظيفة، لست محققا للأحداث، يمكنك أن تسأل أمك.



الأطفال الصغار لا أفترّب منهم فهم مزعجون كثيرا ولا أحب سماع صراخهم خاصة عند عودتي إلى البيت في ساعة متأخرة. أمك مع جميع أخوتك كانت تقول لي حال وصولي تصبح على خير دورك الآن، تعرف ماذا يعني ذلك، أن تقوم بكتابة نفس الفقرة طوال الليل دون الوصول إلى خاتمة. لأنه مع كل عملية تغيير حفاظة تأخذني روائح الخراء الفتى إلى عوالم جديدة، على إبقاعات غائط أخوتك كنت أسبح دون الوصول إلى قاعدة انطلق منها، في كل مرة أتمس قاعدة خرائية انطلق منها تأتي دفعة تغيير حفاظات جديدة تهدم ما سبقته وخذ لك دفعات كل ومميزاتها وخصائصها التي لا تمت بقربانها بأي شيء. كفاك ضربا بقدمك الأرض. الأرض لمن صدق وليس لمن سبق. الصدق في بلادنا؟ الكذب ملح الرجال. ماذا عن السكر؟ السكر مادة ممتازة يمكن استخدامها في طهي الذ المعجنات، هي ليست ككل المعجنات خاصة لو أردت الذهاب بنفسك إلى معجنات الفردوس، عند دوار الشوربيجي. هناك لا تذهب كي تعود بل تذهب لتبقى. يمكنني جدا فهمك يا قلب والدك الجريح.

أشاطرك تماما الألم، في جيلك كلهم غضبوا مني. لم يتعبوا أنفسهم أكثر من اللازم بفهمي أو تفهم ما أريده، عندما كبرت قليلا أصبحت ألتهم الكتب كالسجائر، في الفترة الإعدادية أجمل ما فيها أنني تعرفت إلى التدخين. دخن ما استطعت حتى تترك التدخين. نحن أموات أبناء أموات، سأذهب إلى عتمة قبري مرتاحا لسبب واحد اني لم أبقى أي حجرة في رثتي نظيفة فهي قبحة كمحيا والدك تماما، لا هذا لا يمت للتواضع بأي خصية؟ ما للتواضع والخصي؟ أن تكون متواضعا يعني أن تكون بلا خصوه، لكن من كذب عليك وقال لك أنك متواضع؟ ربما وضع، هي أقرب للحقيقة؟

أذهب واسأل الجزائر، لديه العديد من الخساء، هو سيخبرك فهو عالم خصيات أكثر من والدك الذي يترنج الآن تعباً، ما أردت قوله إن موسيقى هذا المساء لم تكن موفقة، ربما؟ محمد عبد الوهاب بكل جلاله وجماله لم أتعرف عليه إلا في باريس العربية. باريس فرنسية. فرنسية بمقاهيها وكتدرائياتها وكنسها ومساجدها ومحافل عبدة شياطينها حتى النخاع هي فرنسية. أي أغاني تعرفت عليها هناك؟ وهل يخفى القمر، من غير ليه.



كم مرة يجب أن أصغي للعلق قبل أن تردوا على اتصالاتي المتكررة؟ لقد حفظت السورة ويمكنني إسماعك إياها لكن ليس الآن. ما جرى؟ لماذا لا تردون على اتصالاتي، لا على الهاتف الأرضي، ولا الخليوي، هل هناك شيء ما تخبئونه؟ لا شيء، ما كل هذا الضغط؟ ماذا تريده؟ أحضّر لكم وجبة العشاء، الهاتف كان على الصامت ربما أبناء أخيك قاموا بتغيير وضعية الرنين دون أن أنتبه لذلك. جهزي حقيبة ملابس حمص وضعي طعاما يكفي لليلة من أجل سكر، أريد أن يقوموا بالحراسة هذه الليلة في المستوطنة، شركة الحراسة اخبرتني أنها لن تصل الليلة إلى ورشة البناء بسبب الأعياد، الحراسة ستقتصر فقط على الأبنية المأهولة، وبما أننا نشيّد حيًّا بعيدًا عن باقي الوحدات الاستيطانية، أخبروني أن المسؤولية تقع على عاتقنا وحدنا في أي خراب يجري للورش. حمص فهمت، لكن أبوحميد سيقم الدنيا ولن يقعدها إن عاد ولم يجد سكر في البيت. لا تقلقي، تحدثت إليه قبل قليل وقال سيعود غدا بعد المغرب. لا تخبروا أحدا، حمص بحاجة لرفيق. أحببت كثيرا شركة الإنتاج هذه، ليثها كانت تعمل كل الشركات بهذا الانضباط.

أوقفت المرسيدس عند مدخل شارع "كيبوتس جاليوت" ركب الفريق كل على طريقته قام بتحتي، انتظرت ركبوهم جميعا، سلكت أقصر الطرق المؤدية إلى الخروج من تل أبيب-يافا، نظرت عبر المرآة فوجدت الفريق كاملا يغط في نوم عميق. حلمت يوما أن أكون ممثلا، ويأتي فريق خاص لتصويري وأنا أؤدي أحد مشاهد الزير سالم الملحمية أو حمزة البهلوان بطل العرب. لكن سرعان ما نسيت الفكرة. فالمرسيدس على أي حال تدر إكراميات لا التمثيل ولا كل الفنون مجتمعة تصل إليها. ناجي، سره في بئر، ولا يهدأ باله إلا أن يسقي كل العائلة من بئر الدفين. على أي حال لن أرد على اتصالاته هذا الصباح، صفوي متعكر لا يتحمل الإزعاج هذا الصباح. لماذا لا أدري، لكنني لست مستبشرا من هذا النهار. خاصة أنني لم أحتس إلا قهوة ونصف كوراسون شكولاته. طلبت من البائع في محطة البنزين أن يحمصه جيدا في الفرن، وكررتها مرارا كوراسون زبدة من فضلك، الشكولاته تثقل معدتي، وتسد شهيتي. ناجي عاود الاتصال مجددا، لكنني لم أجب. بعث رسالة واتساب جاء فيها على ذكر سكر. ماذا سيحدث لسكر؟ هو في صحة جيدة ولا ينقصه شيء، لكنه استحدث تكتيكا جديدا في استمالي للحديث، يأتي على ذكر سكر فأجيبه مباشرة، اليوم لا يا عزيزي. وصلت بحر الميت، بحرنا بحر صحراء النقب.

الفريق ينزل أغراضه في عجالة لا يريدون تضييع وقتهم، قالوا لي سينتهون تمام الرابعة عصرا وربما قبل ذلك، انتركاتس، فيجوالز، روم تونز، استبلشات، كلوزات. وكلمات متقاطعة أخرى أدونها دون معرفة ما تعنيه تحديدا، لكنني



ربما أستخدامها يوما ما أمام فريق آخر لأبرز مهاراتي السينمائية. عرفت فيما بعد أنه إنتاج لصالح شركة فرنسية المانية. سألتني إسرائيلية وظيفتها فتاة ماء، عندما تقدم الفريق بسرعة مجنونة لالتقاط شروق الشمس ماذا تعرف عن النكبة؟ لا أعرف شيئا عن النكبة، لماذا النكبة في هذا الصباح. لو كانت هذه الجملة مدونة في سيناريو لقام أصغر كومبارس قبل المنتج والمخرج وباقي الطاقم باغتيال الكاتب، لكن ليس قبل إجلاسه على خازوق أوله هنا في بحر الميت وآخره هناك في درعا واغتصابه كما فعلوا مع لورانس العرب. فما بالها تفتح صباحنا بسؤالها الأخرق. قالت لي إنها قرأت الكثير من الكتب التي توثق النكبة. وأحداث النكبة لا يمكن تناولها من جانب سياسي دون إغفال الجانب العاطفي، قصص النساء الفتيات كانت تنقصني في كل تلك الوثائق التي كانت في أغلبها تكرر بعضها البعض. نانا لم ترقني، لم تعجبني، قلبي انقبض منذ النظرة الأولى التي تفحصتني عندما اعتلت المرسيدس فجر هذا اليوم. نانا فتاة الماء تقطع الفاكه والخضار منذ الصباح ولا تكف عن الحديث، يمكنها الحديث والعمل والانتباه معا، ليتني ولدت انشى فقط بسبب هذه الميزة. لكن ألا يعني أن وظيفة فتاة الماء، هي جلب الماء فقط؟ الفواكه والخضار لفتاة النباتات، أظنه هكذا المنطق السليم. لكن لا وظيفة كهذه هنا، ربما من باب التوفير جمعوا بين الوظيفتين، ماء بيد وفواكه وخضار باليد الأخرى، وسيل من الكلام اللا منقطع. أنا أبوحميد متزوج.

أعرف كيف أصد الباب في وجه من لا تروقني من هذا الجنس الذي يطلق عليه زورا وبهتانا اللطيف، قلتها في نفسي ربما تكون من جماعة المي تو. تزوجت قبل عشر سنوات ولم يرزقني الله حتى الآن أطفالا، أقوم بتربية سكر، منذ ولادته أدخل على قلبنا الفرح والسرور، لكن زوجتي تفضل ألا يبيت في شقتنا لذلك يوجد له مكانه الخاص على سطح البيت. أنا على العكس منك، أهوى القطط أكثر، تزعجني الكلاب، وأنت مزعجة أكثر، ثقالة الدم هذه لا يمكنها أن تأتي بالتقسيم يا ربي؟

أعرف الكثير عن النكبة، لم أدرسها في الثانوية ولا عند خدمتي الالزامية في الجيش، اقتنيت العديد من الكتب غالبتها عبر الانترنت، قصص النكبة ممتعة جدا استفدت منها كثيرا ويمكنني التعاطف بسهولة مع ما يجري للفلسطينيين. ماذا بعد؟ ألا يهملك ما أقوله؟ لا بالعكس، كل ما وددت قوله إنها أحداث حزينة. صحيح، تريد أن أخبرك بأكثر القصص المؤثرة مما قرأته؟ لا، شكرا. أفضل قصصا أكثر لطفا هذا الصباح، ربما آخر النهار. على العكس إنها جميلة ومزاجها صباحي بامتياز. كل المواقف المحرجة لا تحدث إلا معي وهذا الصباح تحديدا، لماذا؟ ها قد جاء الفرح، صوت عال من



بعيد يذكرها القيام بتأدية عملها كما يجب، لكنها كالفراشة قامت بتوزيع الماء والفاكهة وعادت إلي بأقل من خمس دقائق، لما كل هذه السرعة؟ لو أدت واجبها بصورة بطيئة أكثر لتمكنت من إنهاء السجارة دون إزعاجاتها التي لن تفيدني بشيء.

لماذا تعلمت السينما؟ أنا لم أدرس السينما، هل تظن أنني سأقضي أربع سنوات من عمري كي أقوم بتقطيع الفواكه والخضار وجلب الماء للمثليين والطاقم؟ إذن كيف حصلت على هذه الوظيفة؟ أدرس علم الآثار في الجامعة العبرية وفي الإجازات أكون مع هذه الشركة، أعمل معهم منذ سنتي الأولى في الجامعة، وهم معتادون علي. وأنا تحديدا لا أريد التعود عليك قالها بينه وبينه، رد عليها أن سلامة سيعمل معكم غدا. يااه قالتها بشغف، سلامة. هل تعرفينه أنت أيضا؟ لا لم التق به من قبل سيكون مثيرا التعرف عليه. لكنني أحمل ذكرى ظريفة مع هذا الاسم، قبلتي مع أول فلسطيني كانت مع سائق يدعى سلامة قمنا بالتصوير في متحف بئر السبع وقمت بتقبيله بجانب المحراب الفائق الجمال. إنه مسجد. مسجد لتأدية الصلوات. أعرف، أعرف هل تظنني حمقاء لهذه الدرجة، كلهم يظنونني بلهاء لكنني أقول لك الحقيقة أعني جيدا تاريخ هذه البلاد، تعرف أن أرض إسرائيل هذه مقدسة عندنا تماما كما الجبل لديكم أنتم المسلمون. كيف عرفت أنني مسلم ولست مسيحيا؟ المسيحيون سائقون جيدون، لكنهم بطيئون لذلك يشتغلون مع السفارات والسلك الدبلوماسي. المسلمون أفضل للسفرات الطويلة شركة الإنتاج هذه تعمل أكثر معهم، أما البدو نحن نحبذ العمل معهم أكثر خاصة عندما نريد الانتهاء من العمل بسرعة فسياقتهم مجنونة وشركات الإنتاج المسعورة يروقهم جنون البدو. نعم صحيح من الأفضل ألا تتعمقي أكثر في اكتشاف هذا الجنون.

سلامة انزعج كثيرا وأزاحني عنه بفضاظة عندما قمت بتقبيله. لكنني تفهمته قال لي يمكننا ممارسة الجنس لكن ليس داخل المتحف. أعجبتني جدا انضباطه وتنقصني كثيرا حيوته هذا الصباح. سلمني رقم هاتفه لكن كل مرة اتصل فيه يرد علي رجل صوته يشبه منشار خشب لا أفهم ما يريد وأنهاي الاتصال سريعا. ربما لم يقم بتزيت لهب المنشار لذلك يكون الصوت بهذه الحدة. اسمحي لي سأنام قليلا، نتحدث فيما بعد. هل تود أن أساعدك بشيء ما قبل النوم، لا شكرا، بطارية دماغية فارغة كل ما أريده هو أن تمتلئ بساعة نوم أو اثنتين. لم أقص عليك ما تعلمته من الكتب التي كلفتني كثيرا. صحيح، أنت أول شخص في حياتي آتي على ذكر نكبته ولم يفعل. عادة هذه الصنارة التي أطلقها قبل الحديث مع عرب إسرائيل، وكل مرة ينجح إلا معك. طعم؟ صنارة؟ أنا ابن الصحراء حتى بحرنا هذا دون بحر العالم بلا



سمك ولا حياة فيه، لا أفهم بالصنارة والطعم. ولا بالقصص المزعجة قبل النوم. ألا تود معرفة القصة؟ إنها معك، تحمليها في صدرك ولم يتغير شيء، عندما تخبريني إياها ماذا سيتغير، هل ستمطر السماء ضفادع مثلاً؟ يروقني جدا الحديث إليك، أنا بنت تصيبوري، ولدت هناك سأسعد جدا لو قمت بضيافتي يمكنك أن تأتي مع سكر، أعدك أن أكون لطيفة معكما. صفورية بعيدة جدا لماذا تعيشين في كل ذلك البعد؟ لا إنها هنا في اشكلون تصيبوري البحر. حتى إنه في أيام الهدوء يمكنني سماع صوت الأذان من قطاع غزة. صفورية الجليل عن عصفورية عسقلان تفرق. ماذا قلت؟ آسف، عصفورية، عذرا صفورية.

الكاتب: [كايد أبو الطيف](#)